جـــامعـــة الجـــزائـــر2
UNIVERSITÉ ALGER2
مجلة مشكلات الحضارة

هاجس النهوض بين زعماء الإصلاح في المشرق والجزائر في العصر الحديث

The Concern for advancement of reformamon gits leaders in the Mashreq and Algeria in modern times

دة/ لطيفة عميرة
جامعة سطيف 2
Latifaamira66@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2021-06-13 **تاريخ القبول:**2021-06-22

تاريخ النشر:2021/06/28

ملخص:

كان خطاب زعماء الإصلاح والنهضة في العالم الإسلامي، منذ القرن التاسع عشر، يدور حول ضرورة الوعي بمسألة النهوض والحفاظ على الهوّية الحضارية التي تفصل بين ديار الإسلام والغرب، فعمدوا إلى إصلاح ما فسد، وترتيب ما تبعثر، وبحث ما اندثر حتى تستعيد ديار الإسلام نهضتها.

والجزائر على غرار الدول الإسلامية الأخرى زخرت خلال تلك الحقبة التاريخية بنخبة كبيرة من العلماء الذين كان لهم الأثر الكبير في مسيرة النهضة في الجزائر مِمن سبقوا جمعية العلماء أو عاصروها، إلا أنّهم لم ينالوا حقهم في البحث والدرس على غرار العلماء في المشرق العربي.

والجدير بالذكر أنّ الحركة الإصلاحية والتربوية التي قام بها هؤلاء الأعلام الجزائريين، تندرج بشكل عام في إطار الحركة التربوية الإصلاحية لمدرسة "التجديد الإسلامي" التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي.

وعليه، ما مدى تأثير رواد الإصلاح في المشرق على علماء الجزائر ومصلحيها وكيف يرى هؤلاء الأعلام إمكان النهوض بالأمة من كبوتها.

الكلمات الدالة: النهضة- الإصلاح- جمال الدين الأفغاني- محمد عبده- ابن باديس.

Abstract:

Since the nineteenth century, the discourse of the leaders of the reform and renaissance of the Islamic world has been about the need to raise awareness of the question of the promotion and preservation of the cultural identity that separates the homes of Islam from the West.

Like other Islamic countries, Algeria was infused during that historical era with a large elite of scientists who had a major impact on the Renaissance March in Algeria who had preceded the Association of Scholars or had experienced it, but who had not received their right to research and study like the scholars of the Arab Mashreq.

It should be noted that the reformist and educational movement carried out by these Algerian icons is generally part of the educational reform movement of the Islamic Renewal School, which emerged in the Islamic world in the 18th century.

So, how does the Mashreq reformers influence Algeria's scientists and reformers and how do they see the possibility of raising the country from its repression?

Keywords : Renaissance - Reformist - Jamaluddin Afghan - Muhammad Abdeh- Ibn Badis.

مقدمة:

إنّ مسألة النهوض بالأمة وتحديثها هي -ربما - المسألة الأكثر استقطابا لتجليات الفكر العربي (الإسلامي) الحديث والمعاصر، وتثوي وراء جلّ الفعاليات النظرية والعملية التي حملت المفكرين العرب والمسلمين، على اختلاف مشاربهم وتباين مقاصدهم وغاياتهم، على أن يسهموا في عمليات الهدم والبناء في العالم العربي الإسلامي الحديث والمعاصر. وكان السؤال المطروح بإلحاح أمام الجميع يدور حول كيفية الخلاص من براثن التخلف والانحطاط اللذين يعاني منهما العرب والمسلمون في كافة أقطارها، وحول الوسائل الفعالة لمواجهة الاستعمار الغربي الناشط في كل الاتجاهات .

فأتباع التيار الديني -الإسلامي أرجعوا أسباب هذا التخلف إلى ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم الصحيحة وأخذهم ببدع وخرافات استعبدت عقولهم وشلتهم عن التفكير السليم بقضايا الدين والدنيا، وقالوا بأن الحلول الحاسمة لكل هذه المشكلات تكمن في العودة إلى الينابيع الأولى لتلك التعاليم أي إلى القرآن والسنة، التي على أساسها شيّد المسلمون الأوائل حضاراتهم العظيمة، وتاريخهم التليد، وقوتهم التي واجهوا بها أعتى الإمبراطوريات وأقواها؛ غير أن التحديثين العلمانيين كانت لهم وجهة نظر مخالفة تماما لهذا الطرح الإسلامي، إذ قالوا أن العلاج الشافي لذلك التخلف يكمن في الفصل بين شؤون الدين والدنيا من ناحية، وفي تبني الوسائل العلمية الحديثة والمؤسسات التي اعتمدها الغرب في بناء حضارته وتطويرها من ناحية أخرى .

والجدير بالذكر أنّ الحركة الإصلاحية والتربوية التي قام بها هؤلاء الأعلام الجزائريين ، تندرج بشكل عام في إطار الحركة التربوية الإصلاحية لمدرسة "التجديد الإسلامي" التي ظهرت في العالم الإسلامي في القرن الثامن عشر الميلادي، وتبلورت على يد كل من الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، والسيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم من المصلحين في المشرق العربي الإسلامي ومغربه، حيث اتجه أولئك الروّاد المصلحون إلى التربية والتعليم، والإصلاح الديني والاجتماعي باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه عملية النهوض بالأمة و تجديد فكرها الإسلامي.

وعليه فإنّ السؤال المطروح هو: كيف يرى هؤلاء الأعلام إمكان هذه العودة؟ هل بإصلاح الفرد والمجتمع بخطة إصلاحية تعليمية دينياً واجتماعياً أم بإصلاح سياسي؟! ثمّ ما مدى تأثير رواد الإصلاح في المشرق على علماء الجزائر ومصلحيها في تلك الفترة؟

1-هاجس النهوض في المشرق العربي الإسلامي :

لقد اعتبر عبد الحميد بن باديس أنّ "أوّل من نادى بالإصلاح الديني علماً وعملاً، نداءً سمعه العالم الإسلامي كلّه في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام محمد عبده، وأوّل من قام بخدمته نشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجّة الإسلام السيّد رشيد رضا صاحب المنار"[1].

كما اعتبر مصر مبعث الدعوة الإصلاحية، رغم أنّها كانت بيئة البدع ووكر الضلالات والانحرافات الاعتقادية والعملية من يوم أن انتصبت فيها الدولة الفاطمية، فرسخت فيها البدع الطرقية والتي حمتها بعد

[1] ابن باديس، عبد الحميد، **حياته وآثاره**، تحقيق وجمع عمار طالبي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1983، ج 3، ص 66.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: - http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

ذلك الحكومات المصرية بموافقة غالبية مشايخ الأزهر إلا قليلاً منهم وذلك بسكوتهم ومشاركتهم الفعلية والقولية[2].

إلاّ أنّه إذا كانت مصر هي مركز الإصلاح والنهضة الحديثة، فإنّه لا يمكن اعتبار محمد عبده وتلميذه السيّد رضا أوّل المصلحين، برغم ما قدّماه من جهود وأعمال جبارة وذات فعالية في الحركة الإصلاحية. فلا شك أنّ الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس على معرفة تامّة بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني والطهطاوي والثعالبي وخير الدين التونسي وغيرهم ممن سبقوه أو عاصرهم من رجالات الإصلاح.

ربما يمكن تفسير قول الإمام بن باديس أنّ فاعلية الإصلاح الإسلامي لم تكن إلاّ على يد محمد عبده ورشيد رضا، وأنّهما أقرب إلى نهجه في التفكير الإحيائي. والحقيقة أنّ كلّ الذين جاؤوا قبل محمد عبده لم يكونوا أقلّ منه إنجازاً ولا أقل أثراً سواء على المستوى الفكري-النظري والاشتغال العقدي أو على المستوى السياسي والاجتماعي.

فالحركة الوهابية هي حركة إصلاح في الإسلام بحسب تعبير ابن باديس، حيث ترجع هذه الحركة الإحيائية إلى "العلاّمة النجدي العظيم الذي عاش في بداية القرن الثامن عشر، وترمي هذه الحركة إلى تطهير الإسلام من جميع البدع والخرافات التي لصقت به مع مرّ الزمن، والسمو به عن عبادة الأولياء"[3].

فالمبدأ الذي تقوم عليه الحركة الإصلاحية السلفية الوهابية متمثّل في أنّ المؤمن يمثّل البساطة والنظام، فكانت تلك الحركة بذلك من أشدّ طوائف الإسلام[4].

إنّ هذا التوصيف الباديسي للوهابية يكشف لنا اختلاف ابن باديس مع الحركة السلفية الوهابية. ذلك أنّ المجتمع العربي الإسلامي أعقد بكثير مما كان يعتقد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، لقد عانى هذا المجتمع وهذه الأمّة منذ أكثر من قرنين من مخاض عسير لم تتوضح نتائجه حتى عصرنا الحالي.

فالمجتمع العربي الإسلامي المتقدم لم يولد بعد برغم الجهود الجبارة التي بذلها الروّاد الأوائل لعصر النهضة ومن تلاهم من الجيل الثاني والثالث، وترجع أسباب هذه المعاناة إلى طبيعة التحدّيات أو قل الابتلاءات الداخلية والخارجية وإلى الإحباطات الكثيرة التي واجهتها الأمّة العربية الإسلامية في تاريخها الحديث والمعاصر، مما أدّى إلى نشوء تيارات فكرية ودينية وسياسية مختلفة الوسائل والأهداف لمواجهة تلك الابتلاءات والتحديات والردّ عليها.

فلم تكن إذن قضية تصحيح العقيدة عن طريق محاربة البدع والخرافات، وزيارة القبور والأضرحة كما ظنّ محمد بن عبد الوهاب وحسب، بل كانت التحديات أقوى وأصعب وأعقد، حيث يتشابك الديني والسياسي، ويتداخل المعرفي والتربوي والأخلاقي، ويمتزج العقدي والعسكري. في هذه الأثناء كان السؤال الذي طُرح بإلحاح هو في كيفية الخروج والخلاص من براثن التخلف والتقهقر الذي يعاني منه العرب والمسلمون في كافة أوطانهم. ثم ما الوسائل والسبل الناجعة والفعالة لمواجهة تحديات الغرب والاستعمار الأوروبي؟

منذ قرنين من الزمان، شعر الإنسان العربي والمسلم بجمود وركود الفكر وانحطاط في القيم والأخلاق وانتشار للجهل وتفشي الفقر وتسلّط الملوك والسلاطين.فبدأ بالنهوض من سباته العميق إثر اصطدامات متعدّدة بواقعه المرير، وبحضارة الغرب وببطش جيوش الاستعمار، حضارة عالم جديد لا تمتّ إلى مفاهيمه عن الغيب والعالم والحياة في شيء، إنّه عالم الحداثة الغربية.

في خضم هذه التحديات كان رافع رفاعة الطهطاوي شديد الوعي لقضية الأصالة والتحديث، والمتمثلة في تحديث مصر لتكون منطلقاً لتحديث وتطوير الشرق الإسلامي كلّه عن طريق نور العقل وآفاق الفكر، بدون أيّة عقدة دينية كانت أم تراثية، ذلك أنّ العقل والفكر أساسا الفقه الإسلامي بمعناه الواسع، قد أخذته أوروبا أصلاً عن شعوب الشرق، من الصين، والهند، ومصر، وبلاد الرافدين والفرس قديماً، ومن الغرب والمسلمين في القرون الوسطى الأوروبية.

---

[2] المرجع نفسه، ص 66.
[3] المرجع نفسه، ج 4، ص 236.
[4] المرجع نفسه، ص 23.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

هذا هو الأساس الذي انطلق منه الطهطاوي في دعوته إلى التفاعل الحر والخلاّق مع حضارة الغرب ونظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بدون خوف وعقدة نفس، لأنّها أي هذه الحضارة "المغناطيس الذي يجلب المنافع، ولأنّ مخالطة الأغراب، لا سيما إذا كانوا من أولى الألباب تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجاب"[5].

لقد تمحور العمل الفكري والسياسي الإسلامي، خلال نصف القرن، آنذاك حول فكرتين أساسيتين، قدّم أولاهما الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، وقدم الثانية الوزير والصدر الأعظم خير الدين التونسي، أمّا فكرة الطهطاوي، التي عبّر عنها في أربعينات القرن التاسع عشر، فهي فكرة المنافع العمومية أو الصالح العام، والتي استأنس في صياغتها بما عرفه عن الدستور والنظام الفرنسيين. وهي مسألة تجمع في سياقها القضيتين الدينية والسياسية، وتتصل بفهم المجتمع ووعيه لذاته ودوره، والضّرورات أو المصالح أو الحاجيات المترتبة على ذلك.

وقد رمى الطهطاوي من وراء ذلك في الأساس إلى إعطاء إصلاحات "محمد علي" الدولتية- السياسية غطاءً ومشروعية، إلّا أنّ الفكرة نفسها كانت تملك حركية وآفاق كبيرة، بحيث تجاوزت مشروع مجمد علي الخاص بالدولة، لتدخل في قضايا الحرية والدستور وبناء النّظام السياسي، وقد ربطه الطهطاوي بقيم الشورى والعدل والإحسان الإسلامية. وقد أدّت فكرة المصلحة (المنفعة) التي اشتغل عليها الطهطاوي إلى أمرين اثنين: الأول اعتبار المسار الاجتماعي- السياسي مسألة تتعلق بالمجتمع كله أي بالأمة، وعياً وممارسةً، والأمر الثاني هو اعتبار تحديد المصالح من اختصاصات أهل الحل والعقد بالمعنى الفقهي المعروف مع التعديلات الطارئة اجتهاديا، وبذلك أعطى العلماء إلى جانب الأمراء ورجالات العمل العام، مسؤوليات وصلت المجال الديني بالمجال السياسي وصلًا محكمًا[6].

أمّا الفكرة الثانية التي قدّمها خير الدين التونسي في الإصلاح الإسلامي، فهي فكرة "التنظيمات " وقد كان يعني بها المؤسسة، وهو الأمر الذي دعا إليه وحاول ممارسته عند استلامه للوزارة في تونس ولصدارته العظمى باسطنبول. فقد أراد أن يقيم دولة المؤسسات أو قُل نظام المؤسسات، محاولا بذلك إبعاد السلطة والعمل الإداري عن الشخصنة والعشوائية والارتجالية، وحفظا لاستمرارية الدولة والنظام والعمل العام. وواضح أنّ هذه الفكرة سياسية، أفاد فيها أيضا من النظم السياسية الأوروبية التي يعرفها جيدا، وقد ربطها بالدستور وببناء النظام السياسي، إلّا انّ الطريف في هذه العملية هو محاولته الاستدلال على مشروعيّتها بأدلّة فقهيّة إسلامية أكثر تحديدا وضبطا ممّا قام به الشيخ الطهطاوي. فقد اعتبر خير الدين التونسي أنّ التنظيمات من المصالح الضروريّة، وأنّ المصالح معتبرة في الشريعة الإسلامية بدليل ما ذكرابن القيّم الجوزية وآخرون من علماء الأصول المسلمين. وأضاف أنّ المصلحة يتحقّق بها العدل، والعدل من مقاصد الشريعة الأساسية، بحسب ابن القيم كما جاء في كتابه " إعلام الموقعين عن رب العالمين"، وكتابه الآخر " الطرق الحُكمية "[7].

إنّ فكرتا المنافع العمومية والتنظيمات سادتا الفكر الإسلامي فيما يتعلق بالإصلاح الديني والسياسي. وجاء تعميمهما بمقاصد الشريعة ليضع كل المؤسسات السياسية والاجتماعية في باب الضّروريّات من أجل بقاء الدّين والمجتمع، وبذلك اتخذت المسألتان السياسية والدينيّة أبعادًا جديدة وخلاقة، وذات طابع بنائي وقد كانت لذلك آثاره في تطوّرات الفكر الإصلاحي، وفي مسارات علائق الدّولة بالدّين في عالم الإسلام. ولا شكّ أنّ تلك العلائق تحتل المنزلة الأولى في المسألة الثقافية في هذا العالم[8].

لقد اعتمدت الإصلاحية الإسلامية، فيما اعتمد في المشرق كما في المغرب، على فكرة المصالح التي جرى تطويرها إلى منظومة من خلال إعادة اكتشاف مقاصد الشريعة، حيث توصل الطهطاوي اعتمادًا

---

[5] الطهطاوي رافع رفاعة، **مناهج الألباب المصرية**، ضمن الأعمال الكاملة، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1974، ج 1، ص 398.

[6] رضوان السيد ، **سياسات الإسلام المعاصر** ، مراجعات و متابعات ، دار الكتاب العربي، ط1، 1997، ص19 و20 .

[7] المرجع نفسه، ص21.

[8] المرجع نفسه، ص 22.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

عليها إلى فكرة المنافع العموميّة، وتوصّل خير الدّين التونسي إلى فكرة التنظيمات، وكان ذلك تجديدا معتبرا، إلّا أنّه تعلّق في الأساس ببنية الدّولة ذاتها.

غير أنّ فكرة "الجامعة الإسلامية" التي دعا إليها جمال الدّين الافغاني وناضل في سبيلها عقودًا، هي التي استقطبت جهود العديد من المفكّرين ونضالهم، وقد اختلفت حولها آراؤهم وأفهامهم، كما اختلفت حول شخصية جمال الدين الأفغاني نفسه. ولكن ما يبدو من كتابات الأفغاني القليلة ومن سيرته النّضالية التحشيدية، فإنّ هذه الفكرة تعني "التضامن الإسلامي" الواعي واليقظ الذي يضع المسلمين في موقف واحد أو مترابط في مواجهة الهجمة الغربية من أجل الاستعمار والهيمنة على العالم الإسلامي؛ ويقوم التضامن المنشود، بحسب الأفغاني، على التّوحّد الذي تُحدثه العقيدة الواحدة اليقظة، فالذي يجعل من هذا العالم الإسلامي ممكن التّوحّد والاجتماع على موقف واحد هو تلك الثقافة الشاسعة والغنيّة التي نجمت عن ذلك الدّين، ويجب على شعوب العالم الإسلامي والشرقي عموما أنْ تنهض في وجه الهيمنة، مستعملة في ذلك كل إمكاناتها وبشكل جماعي[9].

لقد أرجع السيّد جمال الدين الأفغاني أسباب فساد المجتمع الإسلامي وضعفه وانحطاطه إلى الجهل بتعاليم الدين الإسلامي الصحيحة، عبر الأجيال ونتيجة سوء فهم جوهر الإسلام والعقيدة الإسلامية كما تضمنها القرآن والسنّة. وهذا هو السبب الأبرز، استبداد حكام أمّة الإسلام وتناحرهم وضعفهم، مما أفسح في المجال أمام الغزاة الأوروبيين للتسلل إلى أرض الإسلام والسيطرة على بلاد المسلمين وأوطانهم.هذان من أهم وأخطر الآفات التي أصابت المسلمين وأردتهم أرضاً بحسب رأي جمال الدين الأفغاني.

أمّا الحلول التي قدّمها السيّد جمال الدين، ورأى فيها الدواء الناجع لهذه الحالة المرضية المستفحلة، فتكمن في الخطوات التالية:

أ- العودة إلى الإسلام الأوّل، الأصيل، أيام النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفائه الراشدين.

ب- إصلاح الذات والنفس أوّلاً ذلك أنّ سنّة الله في الكون والأمم والشعوب هي أنّه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[10]

ج- إزالة الاستبداد السياسي بإزالة أسبابه وآثاره تماشياً مع تعاليم الإسلام ضدّ الظلم وإحقاق الحق وبسط العدل والحرية.

د- الوحدة الإسلامية، وحدة الأمّة الإسلامية بكلّ أجناسها وألوانها وأوطانها، فهي أمّة واحدة تحت راية الإسلام ﴿بالعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا﴾[11] وكلّ عمل سياسي إسلامي يجب أن يهدف، بحسب جمال الدين الأفغاني، أولاً وقبل كلّ شيء، على استرداد تلك الوحدة الدينية والسياسية الضائعة، ذلك لأنّ العالم الإسلامي لا يصمد أمام المد الأوروبي والغربي إلاّ بواسطة وحدة المسلمين والعرب.

وهذا هو مشروع جمال الدين الأفغاني الكبير "الوحدة الإسلامية". فالإصلاح عند الأفغاني إذن لا يقتصر على تطهير العقيدة الإسلامية من شوائب البدع وخرافات أصحاب الطرق وضلالات أصحاب الفرق، كما اعتقد محمد بن عبد الوهاب، وحسب، بل مشروعه الإصلاحي تجاوزه إلى إصلاح حياة المسلمين السياسية والاجتماعية والثقافية، انطلاقاً من إصلاح نفوسهم وإصلاح مفاهيمهم الدينية نفسها، والقضاء على الأسباب التي تحول بين المسلمين وبين مجاراة الحضارة الغربية والردّ على تحدياتها العلمية والسياسية والعسكرية[12].

وإذا كان السيّد جمال الدين الأفغاني قد وضع الخطوط العريضة لعملية الإصلاح فإنّ صديقه وأخاه ورفيق دربه محمد عبده قد جسّد هذه الخطوط في معالم أربعة رئيسية للعملية الإصلاحية[13]:

- المعلم الأول: ترتكز هذه المرحلة على تحرير العقل من قيود التقليد.

---

[9] المرجع نفسه، ص22.
[10] سورة الرعد، الآية 11.
[11] سورة البقرة، الآية 256.
[12] جمال الدين الأفغاني، **الأعمال الكاملة**، تحقيق وإعداد محمد عمارة، المؤسسة المصرية العامة، د. ت، ص 228.
[13] هشام شرابي، **المثقفون العرب والغرب**، دار النهار، لبنان، ط1، 1971، ص 58.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

- المعلم الثاني: الفهم السليم للدين والتديّن على طريقة السلف الصالح والاستناد على الفترة النبوية وعصر الخلفاء الراشدين.
- المعلم الثالث: لا تعتبر السلطة النهائية في كلّ ما يتعلّق بالعقيدة والدين هي ملك لعلماء الدين، بل ترجع هذه السلطة إلى القرآن والسنّة وحدهما.
- المعلم الرابع: دراسة الحقائق الدينية ضمن موازين العقل البشري[14].

إنّ الإصلاح الذي أراده محمد عبده لم يكن يقف عند تنقية الدين من البدع والخرافات وحسب، بل كان يريد أن يذهب به أبعد من ذلك، أراده إصلاحاً يقوم على إصلاح العقل الإسلامي مستلهماً بذلك الإنجازات والفتوحات العقلية التي شهدها العصر الحديث[15].

ويمكن تلخيص معالم الإصلاح عند الشيخ محمد عبده في تحرير الفكر من أسر التقليد وفهم الإسلام على أسس عقلية، وإعادة قراءة القرآن الكريم وتفسيره من جديد بتحديد معنى الإعجاز الحقيقي للقرآن، وعدم حصر هذا الإعجاز في المجال اللغوي والبياني أو في المجال العلمي، ذلك أنّ القرآن الكريم كتاب الله يهدي النّاس إلى مجتمع أفضل وطريق سوي وخُلق عظيم، وهذا هو مقصد القرآن وهدفه.

أمّا ما جاء وراء هذا الجوهر الثمين من مباحث لغوية وعلمية وفقهية فإنّها مباحث تابعة له وخادمة له أو وسيلة لتحصيله[16]، ثم يجب إعطاء الأولية للعقل في فهم الإسلام قرآناً وسنّةً، وعليه فلا يجب التمسّك بالتفاسير والتأويلات السابقة، ذلك أنّ السلف كانت لهم مفاهيمهم ومناهجهم الفكرية ومشكلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وإشكالاتهم الكلامية والعقدية.

وليس المطلوب من مسلم القرون الحديثة أن يقف عند هذه القراءات، بل هو مطالب باستخدام معارفه ومكتسباته العلمية واللغوية الحديثة بالاستئناس بالسلف الصالح ومن علماء هذه الأمّة، من جهة لفهم الجوانب اللغوية والتاريخية وأسباب النـزول، مستنداً في ذلك كلّه على مطالعة السيرة النبوية واقفاً عند الصحيح المنقول مبتعداً عن الضعيف والمبذول[17].

ثمّ من جهة أخرى، اهتم محمد عبده بإصلاح اللغة العربية من حيث أساليبُها وطرقُ تعليمها، فإنّ اللغة لم تستطع أن تواكب التطورات الفكرية والصحافية والسياسية، لهذا طرح محمد عبده إصلاح أساليب اللغة في التحرير والكتابة، سواء كان في المخاطبات الرسمية بين الدواوين الحكومية ومصالحها، أو فيما يخصّ الصحافة والترجمات من اللغات الأخرى[18]. والسؤال الذي يُطرح بإلحاح هو: أين الإصلاح السياسي من فكر محمد عبده، رفيق جمال الدين الأفغاني رجل الإصلاح السياسي الأوّل؟

لقد خالف محمد عبده أخاه ورفيقه جمال الدين الأفغاني، فاعتبر أنّ الإصلاح السياسي مطلب تخطيطي (استراتيجي) بعيد المدى، أمّا الإصلاح الجوهري والضروري والطارئ هو إصلاح العقل والتعليم الذي هو أساس وقاعدة الإصلاح السياسي.

وقد توصّل الإمام محمد عبده إلى نتيجة مفادها أنّ العمل السياسي المباشر هو عمل مضيّع للوقت وللجهد والطاقات، فالعمل السياسي هو ثمرة تجنيها الأمم والأوطان من غراس تغرسه وتقوم على تنميته السنين الطوال، فهذا الغراس هو الذي يجب أن يعنى به الآن وتبذل فيها الطاقات والأوقات[19].

كان لمحمد عبده، في واقع الأمر اتجاه متميز عن اتجاه جمال الدين الأفغاني، فقد كانا متفقان في الغايات، إلاّ أنّهما مختلفان في الوسائل والمناهج اختلافاً جوهرياً: فالأفغاني كان يدعو إلى الثورة، بينما محمد عبده كان يدعو إلى الإصلاح، فالأفغاني رجل الجماهير والخطابات والتجمعات، يدعو إلى الانتخابات التي تشارك فيها الجماهير، ثم يعتبر أن الحكم يرجع إلى الأمة وليس إلى الحكام، لقد كان الأفغاني يسخر من الذين يظنون أن أمراض الأمم تعالج بنشر الجرائد أو بإنشاء المدارس العمومية دفعة واحدة، كما فعل

---

[14] محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972، ج2، ص 318.
[15] محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، ج 3، ص 314.
[16] المرجع نفسه، ج4، ص 709/689.
[17] المرجع نفسه، ج 1، ص 589
[18] المرجع نفسه، ج 2، ص 180.
[19] محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، ج2، ص 320/218

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

الطهطاوي، فإن هذا الأمر العظيم لا يقوم به إلاّ سلطان عظيم، قاهر يحمل الأمّة على ما تكره أزماناً، وليس عند الضعيف هذه السلطة التي تقهر فضلاً عن الثورة التي تلزم[20].

ثم إنّ الأمر الجلل حتى لو نفّذ بالتدرج وخلال مدة من الزمن، فكيف يتم نقله إلى الأمّة مع مراعاة النسبة بينه وبين مشارب الأمّة وطباعها. ألم ينقل العثمانيون والمصريون عن الغرب المدارس الحديثة والعلوم والصنائع والآداب وكل ما يسمى تمدناً، لكن هل نجوا بها من ورطات ما يلجئهم إليه الغرب بتصرفاتهم؟ هل أحكموا الحصون وسدّوا المنافذ والثغور؟ هل نالوا بهذه الإنجازات المنَعَة ما يدفع غارات الأعداء عنهم؟ هذا هو موقف السيّد جمال الدين الأفغاني من الحلول التي قدّمها بعض دعاة الإصلاح الذين سبقوه أو عاصروه.

أمّا محمد عبده، فقد اعتبر هذا الحلّ صعب المنال باعتبار أنّ الجماهير غير جاهزة لتتسلّم زمام أمرها، وتتسلّم زمام الحكم وتنظيم شؤونها كما هو الشأن في البلاد الديمقراطية، مفضلاً النخبة المثقفة والمستنيرة في هذه الأمّة لتكون في الصدارة في النهوض بهذه الأمّة، علمياً وثقافياً واقتصادياً ثم سياسياً، وبالتالي إزالة الاستبداد الذي تشكو منه الأمّة منذ قرون طوال. فإزالة الطاغوت السياسي مرهون بالتربية والتعليم للطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الإسلامي، التي تقود الأمّة إلى برّ الأمان وسلطة القانون وبسط العدالة.

وقد كان الإمام محمد عبده يعتبر جمال الدين الأفغاني صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجهه للتعليم والتربية لأفاد الإسلام والمسلمين أكبر فائدة. فعرض عليه الأمر بحيث يركزان هو والسيّد جمال الدين الأفغاني طاقاتهما في التعليم والتثقيف فينشأ مفكرون ومثقفون في أرجاء العالم الإسلامي، فجاء ردّ جمال الدين زاجراً قائلاً له: "إنّما أنت مثبّط"[21].

كان هذا فراق بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في المنهج والوسائل، ثم جاء السيّد رشيد رضا صاحب مجلّة المنار التي مشت على خطى العروة الوثقى، إلاّ ما كان فيها من التوجه السياسي الذي يتعلّق بالمسألة المصرية والتحريض على الإنكليز باعتبار أن الظروف قد تغيّرت.

لقد وافقت المنار "العروة الوثقى"، في المسائل الاجتماعية وفي الأسس التي وضعها جمال الدين الأفغاني لمشروع الوحدة الإسلامية، إلاّ أنّ المنار أضافت بعض الأمور المتعلقة بالجزئيات مثل محاربة البدع والخرافات وتصحيح العقائد.

لقد كان السيّد رشيد رضا صاحب مشروع إصلاحي كبير شأنه شأن أستاذه ورفيقه محمد عبده، فهو يرى أنّ أهمّ أركان الإصلاح الإسلامي هو جمع كلمة المسلمين على عقيدة واحدة وأصول فكرية وأدبية واحدة وقانون شرعي واحد لا يحكم عليهم غيره في أي نوع من الأنواع، ولغة واحدة، ولا يتم ذلك إلا بإنشاء جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة[22]، وترعى هذه الجمعية الإصلاح الديني والتربوي، فلا إصلاح سياسي مدني إلاّ بإصلاح ديني تربوي.

من جهة أخرى يرى السيّد رشيد رضا أنّ التقدّم والتخلّف يخضعان لقوانين طبيعية ذاتية خاصة بالأمم والشعوب والحضارات، ولا يرجعان إلى مجرد الانتماء إلى الدين، فالانتماء وحده إلى الإسلام لا يكفي إذا لم تأخذ الأمّة بسنن الله في الكون والطبيعة، في الأمم والشعوب صعوداً وهبوطاً. والدين الإسلامي هو العنصر الأبرز في صعود الأمّة الإسلامية عندما تأخذ به وتحيا به بطريقة سليمة وصحيحة، أما عند التخلي عن الإسلام كما تخلى عنه المسلمون وتمسكوا بقشوره وركنوا إلى بعض التقاليد والعادات المنسوبة إلى الإسلام ظلماً، انحطوا وصاروا في مصاف الأمم المتخلفة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ

---

[20] فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط4 ،2010، ص 158.

[21] محمد عبده، **الأعمال الكاملة**، ج 1، ص 682.

[22] فهمي جدعان، **أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث**، ص 270.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[23]. فالظلم والصلاح هما قانونا الترقي والانحطاط، والصلاح هو صلاح الفرد والمجتمع بعمارة الأرض وإدارتها ولا يتم ذلك إلا بالتعليم والتربية[24].

إنّ فكرة الجامعة الإسلامية عند السيّد رشيد رضا تتمحور بالدرجة الأولى حول الإصلاح الديني والاجتماعي مبتعداً نوعاً ما عن الطابع السياسي للجامعة كما فكر فيه جمال الدين الأفغاني، باعتبار أن العمل السياسي المباشر للجامعة ينطوي على محاذير كثيرة أقلها تحامل العالم الأوروبي على العالم الإسلامي وإثارة الضغينة عند الأقليات التي تعيش في كنف الدولة الإسلامية[25].

2-هاجس النهوض في الجزائر:

أمّا في الجزائر موطن ابن باديس والبشير الإبراهيمي، فقد كان هناك علماء ومشايخ ومثقفون كثر عملوا على بعث النهضة، ونبذ التقليد ومحاربة البدع كالشيخ عبد القادر المجاوي[26]، الذي ألفّ العديد من الكتب التربوية ودعا إلى تعليم المرأة، ويعتبر المجاوي الذي كان أستاذ اللغة العربية والفقه الإسلامي والمثقف، الذي يجمع بين الثقافة الإسلامية والثقافية الفرنسية، من المثقفين الذين لهم إطلاع واسع بالثقافة الإسلامية التراثية (القديمة) وخاصة فكر ابن تميمة، وقد كان له تلاميذ مميزون مثل الشيخ مصطفى بن الخوجة[27] والشيخ المولود بن موهوب[28]والشيخ حمدان الونيسي[29]أستاذ عبد الحميد بن باديس[30] وقد ألّف الشيخ عبد القادر المجاوي كتيّباً في علم الكلام كما اهتم بدراسة الأخلاق وعلم النّفس.

بالإضافة إلى الشيخ المجاوي كان هناك الشيخ أبو القاسم الحفناوي[31] صاحب كتاب "تعريف الخلف برجال السلف"، الذي ضمّ فيه تراجم لعدد كبير من الشخصيات الجزائرية. كما كانت هناك شخصية ثقافية

---

[23] سورة هود، الآية 117.

[24] المنار 1/ 31، ص 583 نقلاً عن: فهمي جدعان، **أسس التقدّم**، ص 274.

[25]فهمي جدعان، أسس **التقدّم عند مفكري الإسلام**، ص 275

[26] الشيخ عبد القادر المجاوي: وُلد سنة 1848 وعاش للعلم والتعليم، فتميّز بغزارة علمه وتنوّع معارفه ومشاركته في كلّ فن بطرف، فكان دائرة المعارف، ساهم في الإصلاح الديني إذ قاوم البدع والضلالات، توفي في عام 1913 في مدينة قسنطينة تاركاً طائفة من المؤلفات، يبلغ عددها ثلاثة عشر كتاباً تدور موضوعاتها حول اللغة العربية وعلومها. أبو القاسم سعدالله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط4، 1992، ج2، ص 148.

[27]الشيخ مصطفى بن الخوجة: هو محمد بن مصطفى بن الخوجة، ولد سنة 1865م، لقّبه عمر راسم بأبي النهضة الجزائرية لأفكاره الواعية والمتسامحة حول الإسلام والعربية، حقّق ونشر مجموعة من كتب التراث العربي مثل تحقيقه لكتاب "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للشيخ الثعالبي، اشتغل محرراً في الجريدة الرسمية "المبشّر". ثمّ عُيّن مدرّساً للتفسير والتوحيد والفقه والأدب العربي في مسجد سفير بالجزائر، وفته المنية 1915م. من أهم آثاره: - الاكتراث في حقوق الإناث. – اللباب في أحكام الزينة واللباس والحجاب. أولى فيهما اهتمامه الأكبر لنهضة المرأة الجزائرية ويرى أنّها الطريق السليم لإصلاح الجيل الجزائري الذي أصبح لا يعرف ثقافة آبائه وأجداده. أنظر عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ج4، 448، وأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1 ، 1998 ج 3، ص 83-88.

[28] وُلد ابن موهوب في قسنطينة سنة 1866 وكان مفتيّاً لقسنطينة لمدّة طويلة، وكان في نفس الوقت أستاذاً للفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية-الفرنسية لقسنطينة، دعا ابن موهوب إلى الإصلاح والتقدّم عن طريق التعليم والتسامح والعودة إلى الأصول ونبذ التعصّب، وهذا ما يجعله موضوعاً أو مقدّمة لحركة ابن باديس الإصلاحية، أيّ في الوقت الذي كان فيه ابن باديس ما يزال طالباً. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج (2)، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط (4)، ص 150-180، 1992.

[29]ولد حمدان الونيسي بقسنطينة عام1856عُين مدرسا بالجامع الكبير سنة 1880م وعمره لا يتجاوز 25سنة لم يُرف عنه أي كتابات لالتزامه بالتعليم المسجدي، وحرصه على تخريج الطلاب والتأثير في الناس بالكلمة طُرد الشيخ حمدان من منصبه سنة 1910 بسبب مشاكساته للاستعمار، فهاجر إلى المدينة المنورة إلى أن توفته المنية في الحجاز؛ أنظر أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998،ج3، ص ص 129-140.

[30]ابن باديس، **حياته وآثاره**، مقدمة عمار طالبي، ص 31/25 + الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعدالله ص 173.

[31] وُلد الشيخ الحفناوي بقرية "الديس" قرب مدينة بوسعادة سنة 1850، تعلّم النحو والصرف والعروض والفقه والتوحيد والمنطق والحساب على يد والده، ثم واصل تعليمه بالزوايا العلمية في كلّ من "طولقة" والعزوزية". سنة 1883 توجّه الحفناوي إلى الجزائر العاصمة، فعلم مدّة طويلة في قسم الترجمة والتحرير في الولاية العامّة الفرنسية حيث ساهم في تحرير جريدة "المبشّر" الناطقة باللغتين العربية والفرنسية، ثمّ درّس بالجامع الكبير بالعاصمة وأخيراً تولّى منصب الفتوى سنة 1936. توفي الشيخ الحفناوي بمسقط رأسه سنة 1942. أهم مؤلفاته موسوعته التاريخية "تعريف الخلف برجال السلف". أنظر تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق، ج4، ص425 تاريخ الجزائر الثقافي، ج (3)، ص ص: 88-93.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

إصلاحية مهمّة في تاريخ الجزائر الثقافي الحديث والمتمثلة في الشيخ عبد الحليم بن سماية[32] أبرز دعاة الإصلاح في الجزائر في مطلع القرن العشرين، فقد كان على اتصال ومعرفة بالشيخ محمد عبده، حيث استقبله الشيخ عبدالحليم بن سماية في بيته عندما زار الجزائر[33].

كان ابن سماية أستاذاً في المدرسة الجزائرية- الفرنسية، والمدرسة الثعالبية، حيث كان يدرّس طلاّبه كتب العقائد وعلم الكلام، وعلى رأسهم كتاب أبي حامد الغزالي "الاقتصاد في الاعتقاد"، و"رسالة التوحيد" للشيخ محمد عبده.وإلى جانب العمل التربوي والدعوي الذي كان يقوم به، فقد شارك في عدة مؤتمرات فكرية وثقافية وعلى رأسها مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في الجزائر سنة 1905 م.

أما همزة الوصل بين الشيخ عبدالحميد بن باديس ورجال الإصلاح الجزائريين من قبله، فقد كان الشيخ مولود بن موهوب الذي اعتلى منصب الافتاء بمدينة قسنطينة إلى جانب مهمة التعليم، حيث كان أستاذاً للفلسفة والعلوم الإسلامية والأدب العربي في المدرسة الجزائرية-الفرنسية.

لقد كان ابن موهوب عالم دين واعٍ وذي سعة من العلم والفكر، كان يدعو للعودة إلى الأصول الإسلامية كشرط أساسي للنهوض، ثم التوسل بالطرق الحديثة في التعليم والتربية مدركاً أنّ تحرير الشعوب يتوقف على يقظتهم العلمية والعقلية، وعليه فإن أزمة الجزائر آنذاك هي قلّة المدارس والمعاهد. لقد كان الشيخ الجليل مقدمة لحركة النهضة الباديسية وجمعية العلماء الجزائريين في قسنطينة والجزائر عامّة[34].

والجدير بالذكر هنا أنّه من الوسائل التي توسّل بها الإصلاحيون والمثقفون الجزائريون في عملية التوعية والتعليم ونشر أفكار الإصلاح هي إنشاء الجمعيات والنوادي والمنـتديات الثقافية مثل "الجمعية التوفيقية"، " نادي التقدّم"، "نادي الشباب الجزائري"، " نادي الاتحاد" وغيرها من الجمعيات.

بالإضافة إلى ذلك، فلقد أدّت الصحف والجرائد دوراً بارزاً في نشر الوعي والثقافة الإسلامية في أوساط الشعب الجزائري برغم كل التعسّفات والأحكام الجائرة في حق أصحابها، ففي سنة 1911 أصدر عمر راسم[35] صحيفة "الجزائر" والتي صادرتها الحكومة الفرنسية بعد صدور عددين منها فقط[36]

وفي سنة 1913 أصدر عمر قدّور[37]صحيفة "الفاروق" وهي مجلة أسبوعية إسلامية وطنية تُعنى بالشأن الثقافي وكان شعارها بيت شعر يقول صاحبه:

---

[32] ولد الشيخ عبد الحليم بن سماية في 15 تموز 1866 من أسرة علمية في الجزائر العاصمة، درس العلوم الشرعية والفرنسية في مدرسة الجزائر التي كان والده مدرساً فيها، أتقن اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية والعلوم الإسلامية. زار الشام في طريق عودته من الحجاز لأداء فريضة الحج، ومكث في تونس قصد الحصول على الإجازة من أحد علمائها، علّم الأستاذ ابن سماية جيلاً من طلاب العلم في المدرسة الثعالبية الرسمية بالعاصمة إلى جانب تدريسه للنحو والبلاغة والأدب العربي والتفسير وشرح الأحاديث في المسجد الجديد في الجزائر العاصمة، ووافته المنية سنة 1939. شارك ببحث "قيم الفلسفة الإسلامية" في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين في الجزائر عام 1905م، كما كانت له مشاركة في فن الموسيقى العربية وعت ذاكرته حظاً وافراً من التوشيحات الجزائرية. أنظر تاريخ الجزائر العام، مرجع سابق ج4، ص401 وتاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، (ص ص 93/ 96).

[33]أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 174.

[34]المرجع نفسه، ص ص 174/ 177.

[35] وُلد عمر راسم سنة 1883م بالجزائر العاصمة، التحق بالكتّاب في سن مبكرة لحفظ القرآن، فختمه وهو ابن السبع سنوات، اشتغل في مسجد "سفير" وعمره لم يتجاوز 12 سنة، وتلقى في هذا المسجد دروساً في النحو على يد الشيخ محمد بن مصطفى الخوجة. دخل بعدها مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية "الثعالبية" إلاّ أنه لم يكمل تعليمه لظروف غامضة. اهتم بالحياة السياسية والثقافية، فعمل في مجال الصحافة، فكتب في الصحف التونسية: التقدّم، ومرشد الأمّة والمرشد. وفي سنة 1908، أنشأ صحيفته الخاصة " الجزائر" التي لم تدم طويلاً، ثم أصدر جريدة "ذو الفقار" سنة 1914 بمساعدة عمر بن قدور. سنة 1915، زجَّ به في السجن حيث بقي حوالي ستة سنوات، لرفضه التعامل مع فرنسا.

[36]أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، مرجع سابق ، 157-159.

[37] ولد بالجزائر العاصمة حوالي 1886م، تردّد على الكتّاب منذ سنّ الخامسة، دخل المدرسة الشرعية الفرنسية عام 1895م، تعلّم على يد عبدالقادر المجاوي وعبدالحليم بن سماية. التحق بجامع الزيتونة في تونس ثم انتقل إلى مصر حيث شارك في الكتابة الصحفية في جريدة اللواء المصرية وهو يبلغ العشرين من عمره، كما كان يرسل مقالته إلى جريدة الحاضرة التونسية، والحضارة العثمانية الصادرة في اسطنبول ثم رجع إلى الجزائر سنة 1908م، وأسّس جريدة "الفاروق" سنة 1913 ودعا إلى تكوين جامعة الصحافة الإسلامية سنة 1911م. نُفي مشياً من العاصمة إلى الأغواط ثم إلى عين ماضي في نهاية الحرب العالمية الأولى، بعدها رجع إلى العاصمة سنة 1919، وانضم إلى هيئة تحرير جريدة الصديق.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

""قلمي لسان ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي""
وفي السنة نفسها أي 1327/1913هـ، صدرت جريدة "ذو الفقار" لصاحبها عمر راسم تحت اسم مستعار هو ابن المنصور الصنهاجي[38].

أما بعد الحرب العالمية الأولى فقد زادت حركة الصحافة الجزائرية حيث كثر قراؤها، وكثر عددها، ولجأت مختلف التيارات الثقافية والسياسية للتعبير عن آرائها وأفكارها الدينية والسياسية عبر الصحف الداخلية منها والخارجية العربية والفرنسية[39].

إنّ الاتجاه الرّئيسي لدى التيار الإصلاحي المصري والمغاربي ظلّ يقدم المسألة الثقافية ومسألة التربية والتعليم على وجه الخصوص، وكذا المسألة الاجتماعية على المسألة السياسية حتى عندما اشتدّ الصراع السياسي مع الاستعمارين البريطاني والفرنسي عقب الحرب العالمية الأولى.

فقد رأى هؤلاء الإصلاحيّون أنّ المشكلة الرئيسية التي تواجه المسلمين ثقافية الطّابع، بمعنى أنّ العملية التي تحفظ كيان الأمّة، وتنهض بها من كبوتها، تكمن في التربية والوعي والتنظيم سعيا لتجديد الإسلام ودعوته، وإدخاله في سياقات العصر والتقدم، فالاستعمار الأوروبي مزعج لا شك، لكن لا أمل حقيقي في التخلص منه إلّا بنهوض تربوي وثقافي يضعنا في مصاف المتقدمين من الغزاة والمستعمرين.

إنّ هويتنا التاريخية لا تستطيع الصّمود ولا المقاومة الإيجابية إلّا باستدراك ما فاتنا واستعادة مكامن قوتنا، ومسار النهوض لا يختلف كثيرا إلّا أنّ الأمر في نطاقنا الحضاري أسهل إذْ لا عداء بين الإسلام والعلم، ولا صراع بين الدّولة والدين في بيئاتنا. ولقد رأى بعض الإصلاحيين في الغرب الإسلامي ومشرقه أنّ العمل المقاوم ممكن بل ضروري على الجهتين السياسية والثقافية في الوقت نفسه؛ فمحمّد عبده ومن تبِعه من المشارقة والمغاربة كانوا يرون أنّ الأولوية لمصارعة التخلّف والاستبداد الدّاخلي القائم على هذا التخلف، ولم يكونوا بطبيعة الحال راضين عن الاستعمار، بل كانوا يعتبرون القضاء على التخلف والاشتغال بالتربية والتعليم والمجال الاجتماعي كل ذلك يزيل الاستعمار ويدحره بشكل تلقائي[40].

إنّ الإصلاحيين والمثقفين المسلمين عُنُوا منذ عشرينات القرن العشرين بمسائل الهوية في كتاباتهم ودروسهم ومحاضراتهم، وفي تكوينهم للجمعيات الإسلامية الرّامية لحماية عقيدة وهويّة الناشئة، والهوية الخائفة والمنكمشة تتخذ لنفسها مسلكا خاصّا في العودة إلى الأصول يختلف عن مسالك سلفية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بل إنّ الإصلاحية سمّت نفسها سلفية، واتخذت من العودة للأصول منهجًا لها، لكنها ما فهمت تلك العودة باعتبارها جوهر المسائل، بل ظلّت أداةً للاجتهاد والتجديد والإصلاح من ضمن إشكالية الإصلاحية المعروفة: المعرفة والتنظيم[41] .

لقد بدا الأستاذ مالك بن نبي مغرّدا خارج سربه عندما اتجه في أعماله إلى التواصل مع الثقافة الحديثة ونُخب الدولة الوطنية، في وقت كان فيه الإحيائيون الإسلاميون بالمشرق كلهم تقريبا يتجهون للقطيعة مع الدولة الوطنية، والثقافة الحديثة على حد سواء. لقد كانت الإصلاحية ما تزال حية وقوية في المغرب الإسلامي، وكان مالك بن نبي كسائر رفقائه شديد الوعي بالحضارة الأوروبية وقيمها، وفي الوقت نفسه كان حادّ الوعي بالنزعة الاستعمارية والعدوانية في تلك الحضارة، وشأن الإصلاحيين المشارقة حتى الثلاثينات، فقد ظلّ عميق الاقتناع بأنّ التواصل مع الغرب ممكن بل ضروري، لكن من موقع النّد للنّد، وأنّ مخاوف الإسلامية الإحيائية - الصحوية من أوروبا لا مسوغ لها، إلّا إذا بقينا على انحطاطنا ومنازعاتنا وانقسماتنا، حالة الجمود الحضاري التي تعاني منها، هي التي خلقت حالة القابلية للاستعمار،

توفي سنة 1930 أو 1932، أهم آثاره كتاب حول التصوّف سمّاه: الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج (5)، ص 276-282.

[38] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص280، وأبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص158

[39] أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، ص 159.

[40] رضوان السيد، **سياسات الإسلام المعاصر**، ص 30-31.

[41] المرجع نفسه،ص43.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283

ولتجاوز هذه الأخيرة يجب التواصل مع العالم، وبالنهوض الثقافي والعلمي والاقتصادي، وعندما يتم ذلك يسهل علينا دحر الاستعمار والدّخول في العصر[42] .

خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أنّ الفكر الإسلامي الحديث في المغرب العربي والجزائر، وخاصة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، قد تداول إشكالية الإصلاح والنهوض بكيفيات متقاربة مع تلك التي تداولتها الحركات الإصلاحية في المشرق الإسلامي، كما توسلت بالعُدة المعرفية ذاتها التي اشتغل بها النهضويون في مصر والشام والحجاز؛ فقد أتت نتائج دراسات وبحوث والمقارنات التي أنجزها العديد من الدارسين، تؤيد تلك الفرضية وتعزز فكرة ووحدة الخطاب الإسلامي الحديث وإلى حدٍ ما المعاصر.

لا شك أنّ أفكار زعماء الإصلاح في الجزائر متأثرة بشكل من الأشكال بأفكار جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، من المشرقيين وبأفكار الطاهر بن عاشور، ومحمد النخلة، ومحمد الخضر بن الحسين، ومحمد الصادق النيفر، والبشير صفر من المغاربة، إلا أنّ الحركة النهضوية الجزائرية وخاصة ما قامت به جمعية العلماء بقيادة ابن باديس لا يمكن إرجاع طروحاتها وأعمالها لهؤلاء المصلحين وحدهم، ذلك أنّ الواقع الجزائري - منذ قبل الاستعمار وخلاله- كان يشهد حالة علمية وفكرية لا يستهان بها، ولا تختلف عن نظيراتها في المناطق الإسلامية الأخرى- ولمن أراد أن يطلع على تلك الحقبة، فليرجع إلى الكتاب القيم الذي ألّفه المؤرخ الجزائري الكبير أبو القاسم سعد الله، تحت عنوان «تاريخ الجزائر الثقافي» والذي جاء في تسعة أجزاء.

كما تجدر الإشارة إلى كتاب أبي القاسم الحفناوي تحت عنوان «تعريف الخلف برجال السلف»، حيث أحصى فيه الحفناوي جمع غفير من العلماء والمفكرين منذ العصور الأولى للفتح الإسلامي وإلى غاية الاستعمار الفرنسي. وعليه فإن الحركة النهضوية الجزائرية لم تكن متأثرة بشكل مباشر ومطلق بأفكار المشرقيين، بل كانت في منطلقها وأساسها نتيجة الواقع والظروف التاريخية التي مرّت بها المنطقة المغاربية قبل وبعد الاستعمار.

[42] المرجع نفسه، ص 45.

العنوان: جامعة الجزائر2، عمارة مخابر البحث،شارع جمال الدين الأفغاني – بوزريعة – الجزائر-**الموقع الإلكتروني(URL)**: -
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/283